

المؤتمر العالمي الثاني لبديع الزمان سعيد النورسي
"بديع الزمان سعيد النورسي واعدادة بناء العالم الاسلامي في القرن العشرين"
27 - 29 ايلول 1992 استانبول - تركيا

الأستاذ سعيد النورسي، والدفاع الإستراتيجي من خلال التأمل في الطبيعة

حسين عاشور*

الحديث عن الاستاذ بديع الزمان سعيد النورسي وتأملاته في الطبيعة ومشاهداته كسائح يسأل الكون عن خالقه، واستنطاقه لمفردات هذا الكون وتلك الطبيعة لاثبات وجود الله تعالى، وصحة رسالة الاسلام، واعجاز القرآن الكريم يستدعي بالضرورة مصطلح "الدفاع الاستراتيجي". فالظرف الذي عاش فيه النورسي، وكذا التحديات التي واجهها كمسلم وكعالم دين اسلامي، وكذا طريقته في الدفاع والصمود لاتعبر عنها كلمة اخرى سوى كلمة الدفاع الاستراتيجي ، ولاشك ان النجاح الذي حققه الاستاذ سعيد النورسي سواء في حياته او بعد مماته من خلال تلاميذه والمستفيدين من عمله في تركيا وخارج تركيا، في العالم الاسلامي، بل وفي خارج العالم الاسلامي ترجع في جزء كبير منها الى اسلوب الدفاع الاستراتيجي الذي اتبعه الاستاذ سعيد النورسي.

في الآفاق وفي أنفسهم

التفكير فريضة اسلامية، والتأمل هو افضل العبادات ، والله تعالى حين خلق الانسان زوده بالعقل، وجعل التعقل والتفكر طريقاً الى معرفة الله تعالى وجوداً وقدرة، من خلال مابثه في الكون من آيات ومعجزات تقود حتماً الى الايمان بالله الواحد القادر اللطيف الخبير.

والتأمل في قدرة الله تعالى في كل جزئيات وكليات الكون والحياة واجب على كل مسلم بل واجب على كل انسان كطريق طبيعي لمعرفة الحق والانحياز له والاطمئنان إليه، التأمل في الأشياء الكبيرة والصغيرة على حد سواء.

وهذا الواجب اكثر وجوباً في حالة العلماء، لانهم يأخذون بيد الآخرين، ويقودونهم على هذا الطريق، ويرفعون عن بصيرتهم الغشاوة، ويجلون لهم ما غمض عليهم ويضعون على طريق التأمل علامات إرشادية.

يقول الله تعالى: قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق1

ويقول تعالى: إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولى الأبواب²

ويقول تعالى: إنما يخشى الله من عباده العلماء³

والآيات في هذا الصدد أكثر من ان تحصى.

وانطلاقاً من هذا الواجب الشرعي، الذي دعت إليه آيات القرآن الكريم، فإن الاستاذ سعيد النورسي "تقدم في هدوء ذكي ليأخذ بيد طالب الحقيقة في جولة رائعة شاسعة هائلة كى يفتح له فيها مغاليق عقله وقلبه، ويوقفه امام لوحة الوجود وجمالها الأخاذ ومظاهرها البديعة، بادئاً رحلته الكونية من عجائب الآفاق العلوية، الى مدهشات الكائنات السفلية، سابراً غورها، واصفاً اتساقها وتوازنها ولوحاتها الفنية الرائعة، التي تأخذ بالألباب وتضرب على أوتار القلوب، فتوقظ الغافل، وتثير بصيرة الذاهل وتأخذ بيد الجاهل، الى عالم من حقائق العلم والمعرفة في إطار السببية الحاسمة، والغائية العميقة، والتخطيط الكوني الشامل الجامع الذي يقطع بوجود الخالق العظيم الذي تسبّح له السموات السبع والأرض ومن فيهن"⁴.

كان سعيد النورسي رائعاً في تأملاته، عميقاً في استلهاام المعانى الدقيقة من مشاهداته في الطبيعة ويرجع ذلك الى انه امتلك كل المقومات اللازمة لهذا الأمر فهو يتمتع بالأخلاص والتجرد مما يجعله قادراً على استقبال المعانى مهما دقت واستيعاب العظات والعبر مهما عظمت، لأن النفس المخلصة المتجردة مثل جهاز استقبال واع لا تشوبه شوشرة ولا اضطراب، ولأنه كان يملك عقلاً كبيراً ذكياً متفتحاً، وحافظة قوية وملكات متعددة حتى ان اهل زمانه اطلقوا عليه اسم بديع الزمان اعترافاً بهذا كله. حقاً لقد كان جهاز استقباله نقياً...!!

ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل اجتهد سعيد النورسي في تحصيل العلوم الدينية والعلمية أيما اجتهاد، وبذل كل طاقته في هذا الصدد، ولم يتوان أو يقصر في هذا المجال وذاك، فقد حفظ القرآن الكريم، ودرس علوم النحو والصرف والبلاغة والتفسير والفقهاء من العلوم الدينية العقلية والنقلية حتى حصل على العالمية وهو ابن أربع عشرة سنة، كما درس علوم الرياضيات والفلك والكيمياء والفيزياء والفلسفة والجيولوجيا والتاريخ والجغرافيا وألف في البعض منها⁵.

عصر العلم:

كل شئ سليم يقود الى الايمان، النظرة السليمة تقود الى الايمان، الوجدان السليم يقود الى الايمان، القلب السليم يقود الى الايمان، العقل السليم يقود الى الايمان، اى ان للايمان طرقاً متعددة، كلها تقود الى نفس النتيجة، وفي الفترة التي عاش فيها الاستاذ سعيد النورسي "1873 -

1960" كانت العلوم الطبيعية، وإعلاء شأن العقل تقفز قفزات هائلة، وكان الاتجاه العالمي يريد استخدام الاكتشافات العلمية في عكس طريقها الصحيح أي في الاتجاه نحو الإلحاد والتشكيك في الأديان، وكان من الطبيعي ان يستمع إليه أحد، ولأن الشيخ النورسي إستوعب روح العصر فإنه استطاع ان يقطع دابر الملحدين عن طريق استخدام لغة التأمل العقلي والعلمي القائم على الحقائق لأسباب وجود الخالق الأعظم وصحة الإسلام وإعجاز القرآن وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن يزيل الفجوة المصطنعة بين ما هو ديني وما هو علمي، يقول الشيخ النورسي رحمه الله "ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو الفنون المدنية - العلوم الكونية الحديثة - فبامتزاجهما تتجلى الحقيقة، وبافتراقهما تتولد الحيل والشبهات في هذا، والتعصب الذميمة في ذلك"6.

الدفاع الإستراتيجي:

في الفترة التي عاشها الشيخ سعيد النورسي "1873 - 1960"، وخاصة تلك الفترة التي استطاعت فيها أوروبا أن تمزق الخلافة العثمانية، وأن تبدد وحدة المسلمين، وأن تلقى بظلال من الشك حول الكثير من مبادئ الإسلام، ولأن أوروبا تعرف خطورة الإسلام على أهدافها المتمثلة في العدوان والقهر والنهب، فأنها لم تدخر وسيلة في القضاء على الإسلام وإبعاد القرآن عن حياة المسلمين وتشكيكهم في دينهم الحنيف، يقول السياسي الإنجليزي "غلاستون" ".: "مادام هذا القرآن بيد المسلمين فلن نستطيع ان نحكمهم، لذلك لا مناص لنا من ان نزيله من الوجود او نقطع صلة المسلمين به".

وكان من الطبيعي ان النقطة الأخطر والأهم في نظر الغرب هي إفقاد المسلمين إيمانهم بالله وبالإسلام وبصدق الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال إدعاء: أن الإسلام لا يتفق مع العلم، وبذلك يضربون الإسلام والمسلمين الضربة القاتلة بعد أن نجحوا في تمزق المسلمين وتفكيك وحدتهم، وكان الرد الصحيح على ذلك أن يقطع الشيخ النورسي على الغرب هذا الهدف على أساس أنه مادامت قد وقعت الهزيمة فلا بد من نوع من الدفاع الإستراتيجي. أي وقف تحقيق العدو للمزيد من الأهداف وإيقاف مسلسل الهزيمة عند هذا الحد الذي وصلت إليه تمهيداً للهجوم المضاد. وهكذا جاء اهتمام الشيخ النورسي بأثبات اعجاز القرآن، وصدق الرسالة ووجود الله تعالى، وقدرته من خلال التأمل والتعقل في الطبيعة كنوع من الدفاع الاستراتيجي أمام مخططات الغرب. ولاشك أنه أحدث الأثر المطلوب من هذا الدفاع، ولاشك أن الشيخ النورسي رحمه الله كان عبقرياً في اختيار هذا الاسلوب.

خصائص أسلوب الشيخ في تأملاته

تمتع الشيخ النورسي في تأملاته بأسلوب فذ يجمع بين الحقيقة العلمية، والاستقراء المنطقي، والشمول، والشاعرية الخصب الرقيقة، ومنهجية رصينة غاية في القوة والوضوح والرصانة، مبتعداً في نفس الوقت عن قيود المصطلحات الكلامية وجمود المقدمات الفلسفية التي تزيد في الحيرة. بل نستطيع أن نقول أنه أحدث نقلة نوعية في علم التوحيد الإسلامي الذي كان بلغته واسلوبه السابقين ملائماً للعصر الذي نشأ فيه ولكنه لم يعد ملائماً لعصرنا الحاضر، وهكذا حول الشيخ النورسي علم التوحيد الإسلامي من مجرد مناقشات وعرض أدلة فلسفية، الى منهج علمي يعتمد على حقائق العلم وبساطة الأسلوب وأحتوائه على الحركة والحياة، بحيث يصبح تياراً اجتماعياً عارماً يلائم مختلف المستويات الثقافية والفكرية وليست قاصرة على طلاب العلوم الفلسفية وحدهم.

لماذا نجح الشيخ النورسي

لم تقتصر فائدة الثمار العلمية والفكرية للشيخ النورسي على الأتراك وحدهم، بل وصلت رسائله وأبحاثه التي تبلغ المائة والثلاثون رسالة الى مختلف أنحاء العالم، وهناك الآن ترجمات لها في اللغات العربية والإنجليزية، والكردية والفارسية والأردية وغيرها، فضلاً عن عشرات رسائل الماجستير والدكتوراه في مختلف اللغات، وعشرات المراكز التي تتبنى نشر هذه الرسائل في كل مكان من العالم ويرجع هذا الأمر الى إخلاص الشيخ وتجرده، ولاشك أن ما يخرج من القلب يصل الى القلب بسهولة فضلاً عن نكاته الوقاد وسعة علمه ورجاحة عقله، وأهم من هذا وذلك أنها استوعبت روح العصر، واستخدمت أسلوب الدفاع الاستراتيجي.. رحم الله الشيخ وأجزل له العطاء..

* حسين عاشور: المشرف العام على مؤسسة المختار الإسلامي للصحافة والنشر.

تصدر المؤسسة ثلاثة مجلات شهرياً: "المختار الإسلامي" وهي المجلة الام و "هاجر" لنساء المسلمين و"زمزم" لأطفال المسلمين. في مجال النشر أصدرت الدار أكثر من 700 عنوان. مجلة المختار الإسلامي تناولت في اكثر من دراسة عن العلامة سعيد النورسي تحدثت عن حياته ونشأته ومدرسته الفذة وأثره على الأمة الإسلامية.

2 سورة آل عمران الآية: 190

3 سورة فاطر الآية: 28

4 مقدمة الآية الكبرى لسعيد النورسي - د. محسن عبد الحميد - أستاذ التفسير والعقائد الإسلامية -
جامعة بغداد.

5 سعيد النورسي نبذة عن حياته وآثاره - إحسان قاسم الصالحى.

6 - الآية الكبرى - مشاهدات سائح يسأل الكون عن خالقه.. المقدمة.